

مُعْجِزَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ (دُرُوسٌ وَعِبْرٌ) ٢٧ رَجَبٍ ١٤٤٤ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَجْلَهَا عَلَى عِبَادِهِ أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ؛ لِيُقِيمَ بِهِمُ الْحُجَّةَ، وَتَظْهَرَ بِهِمُ الْمَحَجَّةُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ خَرَجَ عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ بَعْضُ الْمُتَعَالِمِينَ، الَّذِينَ يُقَدِّمُونَ عُقُولَهُمُ الْفَاسِدَةَ عَلَى النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، فَانْكُرُوا مِعْرَاجَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَوْرَدُوا فِي ذَلِكَ بَعْضَ الشُّبُهَاتِ، فَكَانَ لَا بُدَّ مِنَ الرَّدِّ عَلَى هَذَا السَّفَهِ وَالشُّطَطِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

عِبَادَ اللَّهِ: الْإِسْرَاءُ ثَابِتٌ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْمِعْرَاجُ ثَابِتٌ بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الْمُتَكَثِرَةِ.

أَمَّا الْإِسْرَاءُ فَقَالَ اللَّهُ ﷻ عَنْهُ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وَالْمِعْرَاجُ وَإِنْ لَمْ يَثْبُتْ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ صَرَاحَةً، إِلَّا أَنَّهُ أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ اخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّنَا ﷺ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ؛ تَكْرِيمًا لَهُ وَبَيَانًا لِشَرَفِهِ، وَلِيُطْلِعَهُ عَلَى بَعْضِ آيَاتِهِ الْكُبْرَى. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ

عَبْدِهِ مَا أَوْحَى مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُتَهَيَّ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ مَعَ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾. فَرَّقَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْبَصَرِ وَالْفُؤَادِ، فَلَوْ كَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ بِالْمَنَامِ لَا كَتَفَى بِالْآيَةِ الْأُولَى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾، وَلَكِنَّ قَوْلَهُ ﷺ: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ يُؤَكِّدُ أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ مَعًا. وَهَذَا مَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ - بَلْ نُقِلَ إِجْمَاعًا - عَلَى أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَنْهُمَا كَانَا فِي الْيَقْظَةِ، بِجَسَدِ النَّبِيِّ ﷺ وَرُوحِهِ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿بِعَبْدِهِ﴾؛ إِذْ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا الرُّوحُ وَالْجَسَدُ، وَقَدْ تَوَارَدَتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ الْمُتَكَثِّرَةُ. فَفِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أَنَّهُ ﷺ رَكِبَ الْبُرَاقَ، وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الرُّوحِ الرُّكُوبُ عَلَى الدَّوَابِّ، وَصَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَعُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَوَلَّى الْأَنْبِيَاءَ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَأَنَّ اللَّهَ كَلَّمَهُ، وَأَنَّهُ صَارَ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ مُوسَى ﷺ وَبَيْنَ رَبِّهِ ﷻ، مِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّهُمَا كَانَا بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ. قَالَ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ الْأَمِينُ الشَّنَقِيطِيُّ رحمته الله في «أضواء البيان»: قَدْ تَوَارَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عَنْهُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَأَنَّهُ عُرِجَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى حَتَّى جَاوَزَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ. وَقَدْ دَلَّتِ الْأَحَادِيثُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كِلَيْهِمَا بِجِسْمِهِ وَرُوحِهِ يَقْظَةً لَا مَنَامًا، كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا الْآيَاتُ الَّتِي ذَكَرْنَا. وَعَلَى ذَلِكَ مِنْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَلَا عِبْرَةَ بِمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ مِنَ الْمُلْحِدِينَ.

عِبَادَ اللَّهِ: فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَا يَهْوُلُ الْفُؤَادُ مِنْ أَحْوَالِ الْعِصَاةِ مِنْ أُمَّتِهِ. وَهَذِهِ جُمْلَةٌ مَا رَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ انْتَحَبْتُهُ مِنْ جُمْلَةٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ ... ، وَمَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ

يَخْمُسُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيْلُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ، وَمَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ، قَالَ: قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطْبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ، وَمَرَرْتُ عَلَى جَبْرِيْلَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشِيَةِ اللَّهِ ﷻ.

وَجَبْرِيْلُ ﷺ هُوَ أَقْرَبُ الْمَلَائِكَةِ، وَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً، وَأَكْثَرُهُمْ شَرَفًا، وَهُوَ الْوَاسِطَةُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، فَهُوَ الَّذِي شَرَّفَهُ اللَّهُ بِأَنْ يَكُونَ رَسُولَ السَّمَاءِ إِلَى رُسُلِ الْأَرْضِ بِكَلَامِ اللَّهِ الْمُنزَّلِ، وَهُوَ الرُّوحُ الْأَمِينُ كَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيْزِ، وَمَعَ ذَلِكَ رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشِيَةِ اللَّهِ، وَالْحِلْسُ: كِسَاءٌ يُبْسَطُ وَيُفْرَشُ فِي أَرْضِ الْبَيْتِ، وَهُوَ قِمَاشٌ رَقِيْقٌ يُوضَعُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيْرِ تَحْتَ رِجْلِهِ الَّذِي يَكُونُ عَلَى ظَهْرِهِ؛ فَشَبَّهَ النَّبِيُّ ﷺ جَبْرِيْلَ ﷻ بِالْحِلْسِ بِرُؤْيِيْتِهِ لِاصِقًا لِمَا تَلَبَّسَ بِهِ مِنْ خَشِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى لُصُوقِ الْحِلْسِ بِظَهْرِ الْبَعِيْرِ، أَوْ لُصُوقِ الْحِلْسِ بِالْأَرْضِ. وَفِيهِ أَنَّ تِلْكَ الْخَشِيَةَ الَّتِي تَلَبَّسَ بِهَا جَبْرِيْلُ ﷻ هِيَ الَّتِي تُرَقِّبُهُ فِي مَدَارِجِ التَّبَجُّلِ وَالتَّعْظِيمِ، حَتَّى دُعِيَ فِي التَّنْزِيلِ بِأَنَّهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ، وَفِيهِ أَنَّهُ كَلَّمَا زَادَ خَوْفُ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَانَ أَقْرَبَ. وَفِيهِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَسَائِرِ الْمُكَلَّفِينَ، مَعَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمْ يُخْلَقُوا مِنْ نَفْسِ طَبِيعَةِ الْبَشَرِ مِنْ حَيْثُ وُجُودُ الشَّرِّ أَوْ الْعِصْيَانِ، وَإِنَّمَا هُمْ لَا وَظِيْفَةٌ لَهُمْ سِوَى عِبَادَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَسْبِيْحِهِ وَتَحْمِيدِهِ، وَالسُّجُودِ لَهُ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: «أَتَيْتُ أَصْحَابِي قَبْلَ الصُّبْحِ بِمَكَّةَ، فَاتَانِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيْنَ كُنْتَ اللَّيْلَةَ؟ فَقَدِ التَّمَسْتُكَ فِي مَظَانِّكَ؟! فَقَالَ: عَلِمْتَ أَنِّي أَتَيْتُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ اللَّيْلَةَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهُ مَسِيرَةٌ شَهْرٍ، فَصَفَّهُ لِي، قَالَ: فَفُتِحَ لِي صِرَاطٌ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُ

بِهِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَشْهَدُ أَنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: انظُرُوا إِلَى ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ اللَّيْلَةَ!. قَالَ: فَقَالَ: إِنَّ مِنْ آيَةِ مَا أَقُولُ لَكُمْ: أَنِّي مَرَرْتُ بِعَيْرٍ لَكُمْ فِي مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ أَضَلُّوا بِعَيْرًا لَهُمْ، فَجَمَعَهُ لَهُمْ فَلَانَ، وَأَنَّ مَسِيرَهُمْ يَنْزِلُونَ بِكَذَا ثُمَّ كَذَا، وَيَأْتُونَكُمْ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَقْدِمُهُمْ جَمَلٌ آدَمٌ، عَلَيْهِ مَسْحٌ أَسْوَدٌ وَغَرَارَتَانِ سَوْدَاوَانِ». فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَشْرَفَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ حِينَ كَانَ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، حَتَّى أَقْبَلَتِ الْعَيْرُ يَقْدِمُهُمْ ذَلِكَ الْجَمَلُ الَّذِي وَصَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ فِي الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ دُرُوسًا عَظِيمَةً وَعِبْرًا، لَعَلَّنَا نَقِفُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا:

الأول: الإِيْمَانُ بِرِحْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ جُزْءٌ مِنْ عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِ؛ ذَلِكَ أَنَّه إِحْدَى الْآيَاتِ الَّتِي أَيْدَى اللَّهُ بِهَا نَبِيَّهٖ ﷺ.

الثاني: لُطْفُ اللَّهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ، وَنُصْرَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَالِدُّعَاةِ إِلَى سَبِيلِهِ، فَقَدْ وَقَعَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ بَعْدَ أَنْ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَحَابَتِهِ الْأَذَى؛ تَكْرِيمًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ، وَتَجْدِيدًا لِعَزِيمَتِهِمْ وَثَبَاتِهِمْ عَلَى الدِّينِ، وَثِقَتِهِمْ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الثالث: إِنَّ الْإِسْرَاءَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي كَانَ بِيَدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سِيرَتْ قِيَادَةَ الْأُمَّةِ، وَسَتَرَتْ أُمَّتَهُ هَذِهِ الْبِلَادَ، وَفِي عُرُوجِ اللَّهِ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَرَفْعِهِ مَكَانًا عَلِيًّا فَوْقَ جَمِيعِ الْبَشَرِ بِشَارَةً بِأَنَّ اللَّهَ سَيَرَفَعُ كَلِمَتَهُ، وَيُظْهِرُ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.

الرابع: فِي صَلَاتِهِ ﷺ بِالْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا، وَاقْتِدَائِهِمْ بِهِ وَهُمْ فِي عَالَمِ الْبَرْزَخِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا أَحْيَاءَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِهِمْ إِلَّا اتِّبَاعُهُ، وَكَانَ الْأَنْبِيَاءُ ﷺ بِصَلَاتِهِمْ خَلْفَهُ يَقُولُونَ لِمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ: إِنَّنَا لَوْ كُنَّا أَحْيَاءَ لَا تَتَّبَعْنَا، فَمَا بِالْكُمْ لَا تَتَّبِعُونَهُ وَهُوَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ!؟

الخامس: إِنَّ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ دَلَالََةً عَلَى عِظَمِ شَأْنِ الصَّلَاةِ؛ فَقَدْ اخْتَصَّهَا اللَّهُ مِنْ بَيْنِ الْعِبَادَاتِ بِأَنَّ تَفْرُضَ فِي السَّمَاءِ عِنْدَمَا كَلَّمَ رَسُولَهُ ﷺ بِدُونِ وَاسِطَةٍ.